

مقامات التَّزْكِيَّة بين ابن جزي والحرَّالي في تفسيرهما
**Maqamat al-Tazkiyyah between Ibn Juzi
 And al-Harali in their interpretation**

خالد ال سيد الشيخ

¹ جامعة الجزائر 1 بن يوسف بن خدة، كلية العلوم الإسلامية - خروبة (الجزائر)

khaledga20@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/06/18 تاريخ القبول: 2024/01/23 تاريخ النشر: 2024/06/30

ملخص:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وبعد: فيأتي هذا البحث كدراسة مقارنة بين ما ذكره ابن جزي والحرالي رحمهما الله تعالى في تفسيرهما في مباحث التزكية ومقامات السلوك، من خلال بيان تعريفهم لهذه المقامات، والمسائل التي تم إيرادها تحت كل مقام من مقامات التزكية؛ بغية إبراز منهجية كتب التفسير في إيراد جوانب التزكية، ومدى حرص المفسرين في الغرب الإسلامي على تناول مباحث التزكية ومراتب السلوك؛ وكان من أهم نتائجه: أن كلا من ابن جزي والحرالي ذكر مجموعة من المباحث تحت كل مقام من مقامات التزكية، وحصل التفاوت بينهما: من جهة ما ذكر تحت كل مقام، فبعض المقامات يعتنى فيه أحيانا ببيان أوجه وروده في القرآن أو ببيان البواعث التي تبعث الإنسان على التحقق به، وأحيانا يتم التركيز فيه على الطريقة العالية التي من خلالها يتم التحقق بهذا المقام إما من حيث الإجمال، أو من خلال عبادة من العبادات.

الكلمات المفتاحية: مقامات التزكية ؛ ابن جزي الغرناطي ؛ أبو الحسن الحرَّالي ؛ تفاسير الغرب الإسلامي .

Abstract:

Praise be to Allah, Lord of the Worlds, and peace and blessings be upon the most honorable of the prophets and messengers. This research comes as a comparative study between what Ibn Juzi and Al-Harali (may Allah have mercy on them) mentioned in their interpretation of the topics of acclamation and the maqamat of behavior, by explaining their definition of these maqāmām, and the issues that have been mentioned under each maqam of the maqām, in order to highlight the methodology of the tafsir books in listing the aspects of acclamation, and the extent to which commentators in the Islamic West are keen to deal with the topics of acclamation and the ranks of behavior. One of its most important results: that both Ibn Juzi and Harali mentioned a group of detectives under each of the shrines of acclamation, and the disparity between them occurred: on the one hand what was mentioned under each maqam, some of the maqamat is sometimes taken care of by explaining the aspects of its occurrence in the Qur'an or the statement of the motives that motivate man to verify it, and sometimes it is focused on the high way through which this maqam is verified either in terms of totality, or through worship of worship.

Keywords: keywor Ibn Juzi Al-Gharanati - Abu Al-Hassan Al-Harali - Interpretations of the Islamic West- Maqamat al-Testiqa.

1. مقدمة:

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا، أما بعد: فإنَّ عناية علماء التفسير بمقامات التَّزْكِيَّة كانت عناية كبيرة من خلال تفسيرهم للآيات، وذلك لارتباط هذه المقامات بأعمال القلوب، وأعمال الجوارح، فالتحقّق بها مما يحقّق به المسلم عبوديته لله ﷻ.

وقد اختلفت طرائقهم في تناولها، فمنهم من نثرها في تفسيره بحسب ما تيسر له كأبي الحسن الحرَّالي، ومنهم من حدد آيات ذكرها عندها كابن جزى الغرناطي - رحمه الله-، فقد كان له عناية فائقة بذلك، من خلال ذكره لها في مقدمته التي عقدها بين يدي بيانه للتفسير، ثم حدد إحدى عشر مقاما من مقامات التَّزْكِيَّة، وذكر الآيات التي سيتكلم فيها عن هذه المقامات عند بيانه لتفسيرها.

وهذا الاختلاف في التناول يوجب على الباحثين العناية به من الناحية المنهجية؛ لإبراز منهجية تناول المفسرين لمباحث التَّزْكِيَّة؛ ويأتي هذا البحث في هذا المسلك؛ ليرز جانباً مهماً من جوانب عناية علماء التفسير بالغرب الإسلامي بمقامات التَّزْكِيَّة، وعقد مقارنة بين ما ذكره ابن جزى والحرَّالي في تفسيرهما، وذلك بالتركيز على تعريفهم لهذه المقامات، والمسائل التي تم إيرادها تحت كل مقام، سائلاً الله ﷻ التوفيق والسداد في هذا العمل العلمي، وأن يجعل هذا البحث إضافة علمية متميزة في هذا الجانب المغفول عنه، إنَّه سبحانه الموفق والمعين.

إشكالية البحث:

يدور البحث على إشكالية مهمة وهي محاولة التعرف على منهجية علماء التفسير بالغرب الإسلامي في إيراد مباحث التَّزْكِيَّة، وإبراز منهجهم في إيرادها والعناية بها.

منهج البحث:

منهج هذا البحث هو المنهج الجامع بين المنهجين الوصفي والاستنباطي، وذلك من خلال الرجوع إلى تفسير ابن جزى والحرَّالي، واستخراج مقامات التَّزْكِيَّة والمباحث التي ذكرت تحت كل مقام، واستنباط منهج كل منهما في تناول هذه المباحث.

المحاور العلمية الرئيسية للبحث: تم تقسيم هذا البحث إلى تمهيد ومبحثين وخاتمة

أما التمهيد : فسيتم التعرض فيه للمطالب التالية:

المطلب الأول: مفهوم مقامات التزكية.

المطلب الثاني: أهمية مقامات التزكية.

المبحث الأول: مقامات التزكية عند ابن جزي في تفسيره ويتضمن ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: ترجمة ابن جزي ومعالم مسيرته العلمية.

المطلب الثاني: عدد المقامات التي ذكرها ابن جزي، وبيان مفهومها.

المطلب الثاني: أهم المسائل التي ذكرها ابن جزي تحت كل مقام من مقامات التزكية.

المبحث الثاني: مقامات التزكية عند الحرّالي في تفسيره، ويتضمن ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: ترجمة الحرّالي ومعالم مسيرته العلمية.

المطلب الثاني: عدد المقامات التي ذكرها الحرّالي، وبيان مفهومها.

المطلب الثالث: أهم المسائل التي ذكرها الحرّالي تحت كل مقام من مقامات التزكية.

المبحث الثالث: الموازنة بين ما ذكره ابن جزي والحرّالي من هذه المقامات .

المطلب الأول: أوجه الاتفاق والاختلاف في عدد المقامات وبيان مفهومها.

المطلب الثاني : أوجه الاتفاق والاختلاف في المسائل التي ذكرت تحت كل مقام.

ثم خاتمة تتضمن أهم النتائج والتوصيات .

تمهيد :

إن العناية بمقامات التَّزْكِيَّة ومراتب الأعمال القلبية وآثارها على أعمال الجوارح، من أهم ما ينبغي للمسلم أن يشتغل به، ذلك أنَّها تقرب العبد من ربه، وتجعله دائم الاشتغال بما ينجيهِ في الآخرة، ولكن المتأمل في حال الخلق يجد أنَّها أمر مغفول عنه عند كثير منهم.

ولخطورة هذه الغفلة وآثارها السيئة على العبد في دنياه وأخراه، نجد أن الأئمة كانوا ينبهون على ذلك، يقول الغزالي واصفاً حال كثير من الخلق "فأما علم طريق الآخرة"⁽¹⁾ وما درج عليه السلف الصالح مما سمَّاه الله سبحانه في كتابه فقهاً، وحكمة، وعلماً، وضياءً، ونوراً، وهداية، ورشداً، فقد أصبح من بين الخلق مطوياً وصار نسياً منسياً"⁽²⁾.

ومن هنا كان لابد لطلبة العلم والباحثين أن يعنوا بهذه الجوانب، تدرّساً، وكتابة، وخطابة، وبحثاً، والحرص على تتبع كلام أهل العلم في هذا الباب العظيم، من خلال كلامهم على تفسير الآيات أو شروح الأحاديث، وهذا ما سيقوم الباحث هنا من خلال بيان كلام ابن جزى والحرالي - رحمة الله عليهما في هذا الجانب، ولكن المقام يقتضي بين يدي ذلك التقديم بمبحث تمهيدي يتضمن بيان مفهوم مقامات التَّزْكِيَّة، وأهميتها، وذلك في الآتي:

المطلب الأول: مفهوم مقامات التَّزْكِيَّة .

يتكون هذا المصطلح وهو مقامات التَّزْكِيَّة، من مصطلحي (المقامات) و(التَّزْكِيَّة)، وقبل بيان هذا المصطلح من جهة كونه لقباً على هذه المباحث الشريفة، كان على الباحث أن يقف مع كل من المصطلحين منفرداً، وبيان معناه من جهة اللغة والاصطلاح.

أولاً: المقامات:

أما المقامات: فهي من جهة اللغة، جمع مقام، يقال في اللغة: المقام، والمقامة: المجلس، ومقامات الناس: مجالسهم، ويقال للجماعة يجتمعون في مجلس، والمقام: الموضع الذي تقوم فيه⁽³⁾.

⁽¹⁾ مقامات التَّزْكِيَّة من أهم علوم الآخرة، ولذا أورد الباحث هذا النقل هنا، فهو شامل لمقامات التَّزْكِيَّة وغيرها.

⁽²⁾ إحياء علوم الدين (2/1).

⁽³⁾ لسان العرب (506/12).

وفرق بعض اللغويين بين المقام بفتح الميم وضمها، فقد يكون كل واحد منهما بمعنى الإقامة، وقد يكون بمعنى موضع القيام، لأنك إذا جعلته من قام يقوم فمفتوح، وإن جعلته من أقام يقيم فمضموم⁽¹⁾.

فهي إذا في معناها اللغوي ترجع إلى الإقامة الحسية، وهي المكث في المكان أو موضع القيام في ما إذا كنت قائما بالمكان غير جالس، وقد استخدم القيام في الجانب المعنوي أيضا كما يقال: قام بهذا الأمر، إذا اعتنقه⁽²⁾، وهذا هو المراد هنا فالمراد بالمقامات هنا المراتب العلمية والمعنوية.

ولم أقف على من عرف المقامات تعريفات اصطلاحيا مفردة وإنما يعرفونها بالإضافة إلى غيرها، فيقولون مقامات التزكية، أو مقامات الزهد، أو مقامات التعبد، أو غيرها من الألفاظ التي يضاف إليها هذا المصطلح.

ثانيا: مفهوم التزكية:

وأما التزكية من جهة اللغة، فهي ترجع إلى الفعل زكى يزكو، يقال زكا الزرع يزكو زكاء ممدود، أي نما، وأزكاه الله، وزكا الرجل يزكو زكوا، إذا تنعم وكان في خصب⁽³⁾، فهذا ما ورد في الزكاة الحسية.

ومن معانيها اللغوية: الزكاة المعنوية وهي تطهير النفس والارتقاء بها روحيا وأخلاقيا، ولذا يقولون إنَّ الزكاة زكاة المال وتطهيره، والفعل منه زكى، والزكاة زكاة الصلاح، تقول رجل تقي زكي، ورجال أتقياء أزكياء، وهذا الأمر لا يزكو بفلان أي: يليق به⁽⁴⁾.

(¹) الصحاح (2017/5).

(²) معجم مقاييس اللغة (43/5).

(³) الصحاح (6/2368).

(⁴) المخصص (58/4).

وأما معناها من جهة الاصطلاح، فنجد عدة تعريفات لأهل العلم نوجز أهمها في الآتي:

• قال ابن جرير الطبري عند تفسيره لقوله تعالى: (يُزَكِّيهِمْ): "يُطَهِّرُهُمْ مِنَ الشَّرْكِ بِاللَّهِ وعبادة الأوثان وينمِّيهم ويكثرهم بطاعة الله"⁽¹⁾، فمدار التَّزْكِيَّة عنده إذا على الطهارة من الشرك، ولزوم طاعة الله ﷻ، ولاشك أن ذلك من أعظم ما تزكو به النفوس وتتطهر وتترقى.

• وقال أبو منصور الماتريدي في بيان معنى الآية السابقة: (يُزَكِّيهِمْ): أي: يُطَهِّرُهُمْ مِنْ خُبْثِ الشَّرْكِ، وَخُبْثِ الْأَخْلَاقِ، وَخُبْثِ الْأَقْوَالِ"⁽²⁾ وقال في موضع آخر من تفسيره: التَّزْكِيَّة، هِيَ: التَّنْزِيهِ مِنَ الْعُيُوبِ كُلِّهَا وَالذُّنُوبِ"⁽³⁾، وهذا تعريف كما ترى ركز على جانب التخلية لتهيئة النفس للتحلي بالكمالات بعد ذلك.

وهذه تعريفات كما ترى ركز كل واحد منها على جانب من جوانب التَّزْكِيَّة وإلا فالتَّزْكِيَّة تشمل جميع ما ذكر، فهي تشمل الطهارة من خُبْثِ الشَّرْكِ، وَخُبْثِ الْأَخْلَاقِ، وَخُبْثِ الْأَقْوَالِ، وهو ما يسمى بالتخلية، كما تشمل التحلية والتي تتضمن علم الكتاب والسنة، والحرص على العمل الصالح، ولزوم طاعة الله ﷻ في كل أحوال العبد.

ثالثاً: مفهوم مقامات التَّزْكِيَّة:

وأما تعريفهم لهذا المصطلح وهو مقامات التَّزْكِيَّة باعتباره لقباً لهذا النوع من العلم، فقد ذكروا له عدة تعريفات نستنتج من خلالها مفهوم هذا المصطلح، وأهم هذه التعريفات:

• التعريف الأول: عرفها بأنَّها: عبارة عما يتوصل إليه بنوع تصرف، ويتحقق به بضرب تطلب، ومقاساة تكلف، فمقام كل واحد موضع إقامته عند ذلك"⁽⁴⁾، وهو تعريف كما ترى يركز على المجاهدة والارتقاء بالنفس فهو أمر مكتسب؛ ليخرجوا بذلك الأحوال فإن الأحوال عندهم وهبية لا كسبية.

(¹) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (577/2).

(²) تأويلات أهل السنة (6/10).

(³) تأويلات أهل السنة (204/3).

(⁴) التعريفات (ص227).

- التعريف الثاني: عرفها بأنّها: المنازل الروحية التي يمر بها السالك إلى الله، فيقف فترة من الزمن مجاهداً في إطارها حتى ينتقل إلى المنزل الثاني، ولا بد للانتقال من جهاد وتزكية⁽¹⁾، وفي هذا التعريف بيان أنها منازل روحية ينتقل فيها العبد من مقام إلى مقام بالمجاهدة.
- التعريف الثالث: وقد عرفها بأنّها: حالات ثابتة ينالها السالك بجهد الخالص أهمها التوبة والورع والزهد والفقر والصبر والتوكل والرضا⁽²⁾، وهذا تعريف لا يخرج عن ما ذكر سابقاً إلا بالتمثيل على هذه المقامات.

والذي ظهر للباحث بعد التأمل في هذه التعريفات، وبالنظر إلى عبارة ذكرها الغزالي في جواهر القرآن، وهي قوله: "وقد ذكرنا أن مدار سلوك الصراط المستقيم على قسمين: أحدهما: التزكية بنفي ما لا ينبغي، والثاني: التحلية بتحصيل ما ينبغي؛ وقد اشتمل عليهما كلمتان من جملة الفاتحة"⁽³⁾.

فبذلك يمكننا أن نقول إنَّ مقامات التزكية: هي "مراتب وأحوال في التزكية تجمع بين أعمال القلوب وأعمال الجوارح، يترقى فيها العبد ؛ لتحقيق العبودية لله، وذلك من خلال التحلي بالكمالات والتطهر من الرذائل والإثم".

المطلب الثاني: أهمية مقامات التزكية.

إن مما لا شك فيه أنَّ التحقق بمقامات التزكية أمر جاءت به الشريعة وحثت المكلفين على العناية به؛ لما لها من أثر على العبد في دنياه وآخره.

ومن دلائل ذلك في القرآن الكريم، الإتيان بلفظ التزكية الدال على التخلي عن الرذائل والتحلي بالكمالات، في ثنايا وصف الله ﷻ لعمل نبيّه الكريم ﷺ مع أمته، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ١٦٤﴾ [آل عمران: 164]

ومن هنا كان لا بد من الوقوف على ما يبرز أهمية مقامات التزكية ويجليها في الآتي:

(¹) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (263/1).

(²) معجم اللغة العربية المعاصرة (3/1879).

(³) جواهر القرآن (ص69).

أولاً: أنَّها سبب للتخلي عن كثير من آفات النفس والأخلاق المنحرفة.

إنَّ من الجوانب التي تبرز أهمية مقامات التَّزْكِيَّة، كونها تخلص النفس من كثير من الآفات التي يصعب التخلص منها عادة إلا بمجاهدة ومصابرة، ذلك أن من قواعد السلوك المهمة: التخلي عن الآفات والأخلاق السيئة قبل التحلي بالفضائل الجميلة.

فالمسلم مطالب بأن يخلي قلبه من كل ما سوى الله، ثم يحلي ويزين نفسه بالحلية التي أمر بها الإسلام، وهي التوحيد، كمن يرغب في التحلي والتجمل باللباس النقي الجميل، فإن عليه أن ينظف بدنه بغسله من جميع الأوساخ التي كانت فيه ثم يلبس اللباس النظيف الطاهر الجميل، ويتطيب بما شاء وأراد من أنواع الطيب⁽¹⁾.

وبداية ذلك بتطهير القلب من الغل والحسد والبغضاء وغيرها من الآفات، والصدق مع الله في التخلص من ذلك، فذلك بداية السير في الطريق التحلية.

يقول ابن القيم مبيناً هذا المعنى: "والمقصود: أن زكاة القلب موقوفة على طهارته، كما أن زكاة البدن موقوفة على استفراغه من أخلاطه الرديئة الفاسدة، قال تعالى: {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [النور: 21]، وذكر ذلك سبحانه عقيب تحريم الزنا والقذف، ونكاح الزانية، فدل على أن التزكي هو باجتناب ذلك"⁽²⁾.

ثانياً: أنَّها تجعل الإنسان في شغل دائم لما يزي نفسه ويرتقي بها .

إن من الآثار الطيبة للتزكية على العبد في دنياه وأخراه، أنَّها تجعله دائم العمل لما يحقق به العبودية لربه، ويرتقي به في الدرجات العلا في الآخرة، وهذا مما يدل على أهميتها العظيمة ومكانتها العالية عند العقلاء.

ولذا يقول الحارث المحاسبي مبيناً أهميتها: "واعلم رحمك الله أن الصدق والإخلاص أصل كل حال، فمن الصدق يتشعب الصبر والقناعة والزهد والرضا والأنس، وعن الإخلاص يتشعب اليقين والخوف والمحبة والإجلال والحياء والتعظيم"⁽³⁾.

(1) سهام الإسلام لعبد اللطيف سلطاني (ص57).

(2) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (49/1).

(3) رسالة المسترشدين (ص170).

ولما كانت أهميتها بهذه المثابة فقد جعلها الله لأنبياؤه ورسله، ولم يجعلها محلا للاجتهادات وميدانا للتجارب والتخرصات، فهي مسلمة إلى الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، وإنما بعثهم الله لهذه التزكية وولاهم إياها، وجعلها على أيديهم دعوة وتعلima وبياناً وإرشادا، لا خلقا ولا إلهاما، فهم المبعوثون لعلاج نفوس الأمم⁽¹⁾.

ثالثا: أن التحقق بمقامات التزكية من أعظم ما يتم به تحقيق العبودية لله عز وجل.

أوجد الله الإنسان في هذه الحياة، لتحقيق العبودية له، وقد بين الله ذلك في كتابه فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات:56]، وأولى الأقوال في ذلك بالصواب من معنى الآية: ما ورد عن ابن عباس، وهو: ما خلقت الجن والإنس إلا لعبادتنا، والتذلل لأمرنا⁽²⁾.

ومما يحقق تمام العبودية التحقق بمقامات التزكية، وقد بين أهل العلم طرائق التحقق بهذه المقامات، من خلال ما ورد في الكتاب والسنة، يقول الحارث المحاسبي موضحا ذلك: "ولكل مؤمن في هذه المقامات موطن يعرف به حاله، فيقال له: خائف وفيه الرجاء، وراج وفيه الخوف، وصابر وفيه الرضا، ومحب وفيه الحياء، وقوة كل حال وضعفه بحسب إيمان العبد ومعرفته"⁽³⁾.

رابعا: أن التحقق بها يساعد على تحقيق مرتبة الإحسان في الدين.

يعد الإحسان أحد أهم مراتب الدين وأعلىها، وذلك لا يتم تحقيقه إلا بعد تحقيق مرتبتين قبله هما مرتبتي الإسلام والإيمان، وقد جاءت السنة ببيان هذه المرتبة العظيمة من الدين في حديث جبريل حين سأل النبي ﷺ قائلا: "أخبرني عن الإحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"⁽⁴⁾.

ففي هذه العبارة بيان لحقيقة الإحسان، ولكنه لا يتحقق إلا بتحقيق مقامات التزكية، ذلك أن قوله - ﷺ - «أن تعبد الله كأنك تراه ...»: يشير إلى أن العبد يعبد الله تعالى

(1) مدارج السالكين في منازل السائرين (46/3).

(2) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (454/21).

(3) رسالة المسترشدين (ص170).

(4) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (8) (28/1)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

على هذه الصِّفة، وهو استحضار قربه، وأنه بين يديه كأنه يراه، وذلك يوجب الخشية والخوف والهيبَة والتعظيم، كما جاء في رواية أبي هريرة: «أن تخشى الله كأنك تراه»⁽¹⁾ ويوجب أيضاً: النصيح في العبادة، وبذل الجهد في تحسينها وإتمامها وإكمالها⁽²⁾.

هذه أهم الجوانب التي بها يتجلى للمسلم أهمية مقامات التَّزْكِيَّة وأثرها العظيم على ترك الرذائل والتحلي بالفضائل، وتحقيق العبودية، والتحقق بمرتبة الإحسان التي هي من أعظم مراتب الدين وأعلىها.

المبحث الأول: مقامات التَّزْكِيَّة عند ابن جزى في تفسيره :

المطلب الأول: ترجمة ابن جزى ومعالم مسيرته العلمية⁽³⁾.

أولاً: اسمه ونسبه:

هو: محمد بن أحمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن جزى الكلبي، يكنى أبا القاسم، أصل سلفه من ولة من حصون البراجلة، نزل بها أولهم عند الفتح صحبة قريهم أبي الخطار حسام بن ضرار الكلبي، وعند خلع دعوة المرابطين كان لجدهم بحيان رئاسة وانفراد بالتدبير.

ثانياً: نشأته العلمية وأهم شيوخه.

كان ابن جزى من ذوي الأصالة والنباهة في غرناطة، كما أنه كان على طريقة مثلى من العكوف على العلم والاقتصاد على الاقتنيات من حرّ النشب، والاشتغال بالنظر والتقييد والتدوين.

قرأ على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير، فأخذ عنه العربية، والفقه، والحديث، والقرآن، وروى عن أبي الحسن بن مستقور، وقرأ القرآن على الأستاذ المقرئ الراوية المكثّر أبي عبد الله بن الكماد، ولأزم الخطيب أبا عبد الله بن رشيد، وسمع على الشيخ الوزير أبي

⁽¹⁾ أخرجه مسلم في صحيحه برقم (10) (30/1)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

⁽²⁾ جامع العلوم والحكم لابن رجب (ص104).

(3) انظر ترجمته في : الإحاطة (20/3)، والدرر الكامنة (356/3)، والديباج المذهب (284/2)، وطبقات المفسرين الداودي (81/2).

عبد الله بن المؤذن، وعلى الراوية المسند أبي الوليد الحضرمي، الذي يروي عن سهل بن مالك وطبقته.

ولما برع في العلم أصبح متفننا في العلوم، جامعا لمنقولها ومعقولها، حيث كان فقيها حافظا، قائما على التدريس، مشاركا في فنون العربية، والفقه والأصول، والقراءات، والحديث، والأدب، حفظة للتفسير، مستوعبا للأقوال، جماعة للكتب، ملوكي الخزانة، حسن المجلس، ممتع المحاضرة، قريب الغور، صحيح الباطن، تقدّم خطيبا بالمسجد الأعظم في بلده، على حداثة سنّه، فاتفق على فضله، وجرى على سنن أصالته.

أخذ عنه العلم كثيرون، منهم أولاده الثلاثة، ولسان الدين بن الخطيب وغيرهم.

ثالثا: آثاره ووفاته.

أما آثاره: فقد ألف الحافظ ابن جزي الكثير من الكتب في فنون شتى منها:

- وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم.
- الأنوار السنية في الكلمات السنية.
- الدعوات والأذكار المخرجة من صحيح الأخبار.
- القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية - مطبوع.
- التنبيه على مذهب الشافعية، والحنفية، والحنبلية.
- تقريب الوصول إلى علم الأصول - مطبوع.
- النور المبين في قواعد عقائد الدين.
- المختصر البارع في قراءة نافع - مطبوع.
- أصول القراءة الستة غير نافع.
- الفوائد العامة في لحن العامة، وله فهرسة كبيرة اشتملت على جملة من أهل العلم في المشرق والمغرب.

وأما وفاته: فقد ذكر أنّه فُقد وهو يشحذ همم الناس ويحرضهم على القتال يوم الكائنة بطريف، ضحوة يوم الإثنين السابع من جمادى الأولى عام (741هـ)، تقبل الله شهادته وغفر له ورحمه.

المطلب الثاني: مفهوم هذه المقامات عند ابن جزي الغرناطي:

يعد تفسير الإمام ابن جزي الغرناطي من التفاسير المهمة التي لا يستغني عنها الطالب في دراسته لعلم التفسير، فهو وإن كان موجزا مختصرا ملخصا، إلا أنَّه قد احتوى على خلاصات ما دبحته أيادي كبار المفسرين، فهو لا يقل أهمية عن تفسيري النسفي، والبيضاوي، فضلا عن تفسير الجلالين والوجيز للواحدي، بل ربما يفوق هذه التفاسير في بعض الجوانب⁽¹⁾.

وقد ضمنه مجموعة من العلوم التي أبان عنها في مقدمة كتابه، وبين أساليبه في إيرادها في تفسيره بقوله: "احتوى هذا الكتاب على ما تضمنته الدواوين الطويلة من العلم، ولكن بعد تلخيصها وتمحيصها، وتنقيح فصولها، وحذف حشوها وفضولها ولقد أودعته من كل فنٍّ من فنون علم القرآن: اللباب المرغوب فيه، دون القشر المرغوب عنه، من غير إفراط ولا تفريط، ثم إني عزمت على إيجاز العبارة، وإفراط الاختصار، وترك التطويل والتكرار"⁽²⁾.

وكان منها مباحث في التركية ومقامات السلوك إلى الله، والتي جاءت في تفسيره على نوعين اثنين: الأول: إشارات هي من قبيل التفسير الإشاري، نص عليها في تفسيره، أغلبها مستحسن مقبول، والثاني: مقامات التصوف: ويقصد بها: الأحوال التي يكون عليها المسلم، مثل حال الصبر، وحال الشكر، وحال الرجاء، وحال الخوف⁽³⁾، وغيرها من المقامات التي أوردها.

ولأن هذا البحث متعلق بالجانب الثاني وهو مقامات التركية والتصوف، فإننا نقول إن ابن جزي قد ذكر هذه المقامات في مقدمة تفسيره، ومهد لها بذكر علاقة التصوف بالقرآن، ثم أبان عن موقفه المعتدل من التفسير الإشاري، وتكلم أيضا عن تفسير أبي عبد الرحمن السلمي المسمى حقائق التفسير، وكان رأيه - رحمه الله - فيه معتدلا.

(1) ابن جزي ومنهجه في التفسير (ص14).

(2) التسهيل لعلوم التنزيل (10/1).

(3) ابن جزي ومنهجه في التفسير (ص608).

فبيّن أن أبا عبد الرحمن السلمي قد جمع كلامهم في التفسير في كتاب سماه «الحقائق»، وقال بعض العلماء معلقا على كتابه هذا : بل هي البواطل⁽¹⁾، فقال معلقا ومستدركا على هذا الكلام: "إذا أنصفنا قلنا: فيه حقائق وبواطل، وقد ذكرنا هذا في كتاب ما يستحسن من الإشارات الصوفية، دون ما يعترض أو يقدر فيه"^{(2)»(3)}.

ثم انتقل بعد هذه المقدمات التي ذكرها ليتكلم عن المقامات الاثني عشر للتركيبية، حيث أوردتها وأورد الآيات التي سيتكلم عن كل مقام فيها فقال: "وتكلمنا أيضا على اثني عشر مقاما من [مقامات] التصوف في مواضعها من القرآن..."⁽⁴⁾، فذكر منها اثني عشر مقاما.

وسيقف الباحث مع خمسة من هذه المقامات ببيان معانيها بحسب ما أوردته من تفسيره لهذه الآيات، فنبدأ بذكر المقام الأول: وهو مقام الشكر وقد تكلم عنه في سورة الفاتحة عند قوله تعالى "الحمد لله رب العالمين"، فقال في تعريفه وبيانه لحقيقته: "والشكر لا يكون إلا جزاء على نعمة"⁽⁵⁾، فالشكر عنده هو الثناء على المتفضل جزاء نعمة أنعم بها عليك.

وأما التقوى وهي المقام الثاني فقد ذكرها ابن جزي عند قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَلِكْتَبُ لَا رَبِّبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۚ﴾ [البقرة: 2]، ولم يذكر تعريفا له، وذكر في غيره من المواضع عدة أوصاف لها، فقال في موضع "التقوى: غاية العبادة وكمالها"⁽⁶⁾، وقال في موضع آخر: "والتقوى: في الواجبات وترك المحرمات دون فعل المندوبات"⁽⁷⁾.

(1) لا يعرف قائل هذه العبارة (بواطل)، ولعل المصنف يقصد الواحدي لكنه تلفظ في العبارة، فإنَّ الواحدي كلامه شديد في ذلك كما قال ابن الصلاح في فتاويه (ص197): "وجدت عن الإمام أبي الحسن الواحدي المفسر - رحمه الله - أنه قال صنف أبو عبد الرحمن السلمي حقائق التفسير، فإن كان قد اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر".

(2) ذكر الشيخ مساعد الطيار في شرحه على مقدمة ابن جزي أنَّ المؤلف يقصد بكتابه هنا: تفسيره الذي بين أيدينا، فقد ذكر في كلامه في تفسير الآيات من إشارات الصوفية ما يرى أنه يدخل فيما يستحسن دون ما يُقدَح فيه أو يُعَرَّض عليه. انظر: شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (ص129)، و ابن جزي ومنهجه في التفسير (ص608).

(3) التسهيل لعلوم التنزيل (1/17).

(4) المصدر السابق (1/17-18).

(5) التسهيل لعلوم التنزيل (1/63).

(6) المصدر السابق (1/76).

(7) المصدر السابق (1/220).

وقال في موضع ثالث: "تقوى: مصدر مشتق من الوقاية، فالتاء بدل من الواو معناه: الخوف، والتزام طاعة الله وترك معاصيه، فهو جامع لكل خير"⁽¹⁾، فمن خلال هذه الأوصاف الذي ذكرها للتقوى يمكننا أن نقول إنَّ التقوى عند ابن جزى: هي "غاية العبادة وكمالها، وتحقق بتغليب الخوف من الوقوع في الإثم بفعل الواجبات وترك المحرمات".

وأما الذكر وهو المقام الثالث: الذي وضَّحه، فقد ذكره عند تفسيره لقوله تعالى "فاذكروني أذكركم" [البقرة: 153]، ولم يذكر تعريفاً له أيضاً، ولكنه ذكره في مواضع أخرى مبينا بعض أوصافه مما يبين حقيقته عنده.

فقد قال في سبب تسمية القرآن بالذكر: "وأما الذكر: فسمي القرآن به لما فيه من ذكر الله أو من التذكير والمواعظ"⁽²⁾، وقال في موضع آخر: "والذكر يراد به: القرآن، أو التذكير والوعظ"⁽³⁾، وعليه يمكننا أن نقول إنَّ حقيقة الذكر عنده دائرة حول ذكر الله، ويدخل في ذلك القرآن ذكراً أولياً، بل هو أعظم الذكر، ويشمل أيضاً التذكير بالمواعظ وغيرها مما يذكر به.

وأما المقام الرابع: فهو مقام الصبر، فقد ذكره ابن جزى عند تفسيره لقوله تعالى: "تعالى: إِنَّمَا يُؤَوِّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ" [الزمر: 10]، وقد جعله على أربعة أنواع، وعرف الصبر باعتبار كل نوع منها.

فجعل القسم الأول منها هو: الصبر على البلاء، وقال في تعريفه هو: منع النفس من التسخط، والهلع، والجزع، وجعل القسم الثاني، هو: الصبر على النعم وقال في تعريفه، هو: تقييدها بالشكر، وعدم الطغيان، وعدم التكبر بها، وجعل القسم الثالث هو الصبر على الطاعة، وقال في تعريفه هو: المحافظة والدوام عليها، وجعل القسم الرابع منها هو: صبر عن المعاصي، وقال في تعريفه هو: كف النفس عنها⁽⁴⁾.

(¹) المصدر السابق (30/1).

(²) التسهيل لعلوم التنزيل (13/1).

(³) المصدر السابق (2/254).

(⁴) المصدر السابق (104/1).

وأما التوحيد وهو المقام الخامس الذي تكلم عنه، فقد ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: "وَالْهُكْمُ لِلَّهِ وَاحِدٌ" [البقرة: 163]، وقد عرّفه بالنظر إلى أهل التوحيد، فجعل القسم الأول: توحيد عامة المسلمين، وقد عرّفه بأنه: نفي الشركاء والأنداد، والصاحبة والأولاد، والأشباه والأضداد، وجعل القسم الثاني: توحيد الخاصة، وقد عرفه بأن: يرى الموحد الأفعال كلها صادرة من الله وحده، ويشاهد ذلك بطريق المكاشفة لا بطريق الاستدلال الحاصل لكل مؤمن⁽¹⁾.

وجعل القسم الثالث: توحيد خاصة الخاصة، وهو التوحيد الذي تسميه الصوفية مقام الفناء⁽²⁾، وقد عرفه بأن: لا يرى الموحد في الوجود إلا الله وحده، فيغيب عن النظر إلى المخلوقات، حتى كأنها عنده معدومة، أي: يغيب عن ذلك باستغراقه في مشاهدة الله⁽³⁾.

هذه أهم المقامات التي ذكرها ابن جزي وبيّن معانيها، وهي كما ترى مما عرّف بعضه بحد جامع مانع، ومالم يعرف بالحد وإنّما عرّف بأوصافه؛ ليميزه المسلم وينجلي له معناه إذا أطلق وتكلم به.

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (104/1-105).

(2) يعد مصطلح الفناء من المصطلحات التي وقع فيها نقاش بين الصوفية وغيرهم، وكان موضع نقد عند بعض أهل العلم؛ ولذا وجب التفصيل فيه؛ ومن ناقشهم فيه ابن القيم في كتابه مدارج السالكين (211/1) فقال: "وتقسيمهم ثلاثة أقسام: عام، وخاص، وخاص خاص، إنما نشأ من جعل الفناء غاية الطريق وعلم القوم الذي شمروا إليه، وسنذكر ما في ذلك إن شاء الله تعالى، وأقسام الفناء، ومحموده، ومذمومه، وقاضله، ومفضوله، فإن إشارة القوم إليه ومدارهم عليه"، وهو مما يتضح به أن الفناء ليس على درجة واحدة بل منه ما هو محمود ومنه ما هو مذموم.

(3) التسهيل لعلوم التنزيل (104/1-105).

المطلب الثالث: المسائل التي ذكرها ابن جزي تحت كل مقام من مقامات التَّزْكِيَّة.

لم يكتف الإمام ابن جزي ببيان مفهوم كل مقام من هذه المقامات، وإنما أضاف إلى ذلك ذكر مجموعة من المباحث المتعلقة بكل مقام؛ ليستوفي شيئاً من مباحثه، وقد تفاوتت هذه المباحث عنده، ولكن الباحث سيلجئ ما ذكره من مباحث تحت كل مقام في الآتي:

أولاً: مقام الشكر.

إنَّ الشكر من المقامات العظيمة في الدين، فهو من العبادات التي يستخرجها الله من عباده بالعطاء، فقد جاء في الأثر أنَّه كان من دعاء داود عليه السلام: "سبحان مستخرج الشكر بالعطاء، ومستخرج الدعاء بالبلاء"⁽¹⁾، ومن هنا كانت عناية أهل العلم ببيانها عظيمة، والكلام عن أساليب تحقيقه متنوعة.

وقد استهل ابن جزي الحديث عنه ببيان علاقة الشكر بالحمد وأيهما أعم من الآخر، ثم بيَّن أنواع الشكر، وأنَّه يكون باللسان، وذلك بالثناء على المنعم والتحدث بالنعيم، ويكون بالجوارح، وذلك بالعمل بطاعة الله وترك معاصيه، ويكون بالقلب، وذلك بمعرفة مقدار النعمة، والعلم بأنها من الله وحده، وأنها تفضل لا باستحقاق العبد⁽²⁾.

كما بيَّن أنَّ النعم التي يجب الشكر عليها لا تحصى، ولكنها تنحصر في ثلاثة أقسام: نعم دنيوية، ودينية، وأخروية، وأنَّ النَّاس في الشكر على مقامين اثنين، منهم من يشكر على النِّعم الواصلة إليه خاصة، ومنهم من يشكر الله على النعم الواصلة إلى جميع خلقه، ثم ختم هذا المقام ببيان درجات الشكر، وأنَّه على درجات ثلاث: درجة العوام، وهي الشكر على النعم، ودرجة الخواص: وهي الشكر على النعم والنقم وعلى كل حال، ودرجة خواص الخواص: وهي أن يغيب عن النعمة بمشاهدة المنعم، ونبه على أن من فضيلة الشكر أنه من صفات الحق، ومن صفات الخلق فإنَّ من أسماء الله: الشاكر والشكور⁽³⁾.

(¹) الزهد لأحمد بن حنبل، (ص، 66).

(²) التسهيل لعلوم التنزيل (1/ 63-64).

(³) التسهيل لعلوم التنزيل (1/ 64).

المقام الثاني: مقام التقوى

تعد التقوى من أعظم الوصايا التي أوصى الله بها عباده، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ﴾ [النساء: 131]، ومن هنا عظمت عناية أهل العلم بها من جهة ما تتحقق به، ونجد أن الإمام ابن جزي قد ذكر تحتها عدة مباحث، فقد ابتدأ الحديث عن مباحثها، بذكر فضائلها المستنبطة من القرآن، وهي خمس عشرة: الهدى، والنصرة، والمحبة، والهداية وغيرها من الفضائل التي دلل على كل واحدة منها بآية من القرآن توضحها.

ثم بين البواعث التي تبعث الإنسان على لزوم التقوى، وأنها عشرة بواعث، ذكر منها: الخوف من العقاب الأخروي، والخوف من الحساب، والحياء من الله وغيرها من البواعث التي ذكرها⁽¹⁾، ليختتم هذا المقام العظيم من مقامات التزكية ببيان درجات التقوى وهي: أن يتقي العبد الكفر، وذلك هو: مقام الإسلام، وأن يتقي المعاصي والحرمان وذلك هو: مقام التوبة، وأن يتقي الشبهات، وذلك هو: مقام الورع، وأن يتقي المباحات وذلك هو: مقام الزهد، وأن يتقي حضور غير الله على قلبه، وذلك هو: مقام المشاهدة⁽²⁾.

المقام الثالث: مقام الذكر

جاءت النصوص المتكاثرة بالحث على ملازمة الذكر، والترغيب في الأجور العظيمة التي أعدها الله للذاكرين، وهو طريق لتقوية محبة الله في قلب العبد، ذلك أن من الحكم المنصوص عليها في كتب أهل العلم قولهم: "إذا أردت أن تحب شيئاً فأكثر ذكره، فإن الذكر والنسيان لا يجتمعان"⁽³⁾.

ومن هنا فقد نجد أن ابن جزي قد اعتنى بهذا المقام العظيم من مقامات التزكية، وتناول فيه عدة مباحث، مبتدئاً ببيان أن الذكر ثلاثة أنواع: ذكر بالقلب، وذكر باللسان، وذكر بهما معاً، ثم بين أن الذكر أفضل الأعمال في الجملة، وإن ورد في بعض الأحاديث تفضيل غيره من الأعمال عليه: كالصلاة؛ وذلك لما فيها من معنى الذكر والحضور مع الله تعالى.

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (69/1).

(2) التسهيل لعلوم التنزيل (70/1).

(3) آداب النفوس للمحاسبي (ص 177).

كما دلل على فضيلة الذكر من جهة أنَّه قد جاء فضله من ثلاثة أوجه: الوجه الأول: في النصوص الواردة بتفضيله على سائر الأعمال، والثاني: أنَّ الله تعالى حيث ما أمر بالذكر، أو أثنى عليه اشترط فيه الكثرة، والثالث: أنَّ للذكر مزية هي له خاصة وليست لغيره، وهي الحضور في الحضرة العلية، والوصول إلى القرب الذي عبر عنه في الحديث بالمجالسة والمعية⁽¹⁾.

كما بين تحت هذا المقام العظيم من مقامات التَّركية: أنَّ للناس في التعامل مع الذكر مقصدان: مقصد العامة: وهو اكتساب الأجور، ومقصد الخاصة، وهو القرب والحضور، وختمه ببيان أنَّ الذكر على أنواع كثيرة: منها التهليل، والتسبيح، والتكبير، وغيرها من الأذكار، وأنَّ لكل ذكر من هذه الأذكار خاصيته وثمرته⁽²⁾.

وذكر تحت كل ذكر ثمرته، فالتكبير مثلا: ثمرته التعظيم والإجلال لذي الجلال، والصلاة على النبي صَلَّى الله عليه واله وسلَّم: ثمرتها شدة المحبة فيه، والمحافظة على اتباع سنته، وغيرها من الثمرات اليانعات التي ذكرها لكل ذكر ثم نبه على أنَّ الثمرة العظمى للذكر، والتي تجمع الأسماء والصفات مجموعة في الذكر الفرد⁽³⁾ وهو قولنا: الله، الله فهذا هو الغاية وإليه المنتهى⁽⁴⁾.

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (1/ 101-102).

(2) التسهيل لعلوم التنزيل (1/ 102).

(3) نازع بعض أهل العلم في هذا من جهة أنَّ الذكر به فيه نظر، قال صديق حسن خان في كتابه الدين الخالص (3/ 391): "إن إطلاق لفظ الجلالة مفردا عن إخبار عنها بقولهم: (الله، الله)، ليس بكلام ولا توحيد، وإنَّما يلعب بهذا اللفظ الشريف بإخراجه عن لفظه العربي، ثم إخلاؤه عن المعنى، ولو أن رجلا عظيما صار يسمى يزيد، وصار جماعة يقولون له: (زيد، زيد)، لعد ذلك استهزاء وإهانة وسخرية، لاسيما إذا زادوا إلى ذلك تحريف اللفظ، ثم انظر هل أتى في لفظ من الكتاب والسنة ذكر الجلالة بانفرادها وتكريرها؟ إذ الذي فهمنا هو طلب الذكر، والتوحيد، والتسبيح والتهليل".

(4) التسهيل لعلوم التنزيل (1/ 102).

المقام الرابع: مقام الصبر.

إنَّ للصبر آثار عظيمة على العبد في الدنيا والآخرة، ذلك أنَّه يوطن النفس على تحمل المشاق ومواجهة الصعاب، وبه ينال العبد المراتب العالية والمقامات الرفيعة في الدين قال تعالى عن أنبيائه ورسله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: 24]، قال ابن عطية عند هذه الآية: "جعلهم أئمة جزاء على صبرهم عن الدنيا، وكونهم موقنين بآيات الله وأوامره وجميع ما تورده الشريعة"⁽¹⁾.

ولمكانة هذا المقام العظيم من مقامات التزكية، فإنَّنا نجد أن ابن جزي قد اعتنى ببيانه، واستهل مباحثه بإبراز أنَّ الصبر قد ورد ذكره في القرآن في أكثر من سبعين موضعاً، وأنَّ بعض أهل العلم يبنوا أنَّ كل الحسنات لها أجر محصور من عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصبر فإنه لا يحصر أجره، ثم بيَّن أنَّ الله عزَّ شأنه ذكر للصابرين ثمانية أنواع من الكرامة⁽²⁾.

وقد بيَّن هذه الكرامات الثمانية، مدللاً على ذلك بالآيات الدالة عليها، فذكر أنَّ: المحبة، والنصر، وغرفات الجنَّة وغيرها من الكرامات ينالها العبد عند صبره، كما بيَّن أنَّ الصبر أربعة أنواع: صبر على البلاء، وصبر على النعم، وصبر على الطاعة، وصبر عن المعاصي: بكف النفس عنها⁽³⁾.

لتكون خاتمة هذه المباحث المتعلقة بهذا المقام في بيان مرتبتين من مراتب العبودية، هما أعلى من الصبر، مع اشتراكهما معه في معنى التحمل وعدم الاعتراض على القدر، وهذان المرتبتان هما: مرتبة التسليم، وهو ترك الاعتراض والتسخط ظاهراً، وترك الكراهة باطناً، ومرتبة الرضا بالقضاء، وهي: سرور النفس بفعل الله وهو صادر عن المحبة، وكل ما يفعل المحبوب محبوب، وهي أعلى من سابقتها في الرتبة⁽⁴⁾.

(¹) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (365/4).

(²) التسهيل لعلوم التنزيل (103/1).

(³) التسهيل لعلوم التنزيل (103/1).

(⁴) التسهيل لعلوم التنزيل (103/1).

المقام الخامس: مقام التوحيد.

عظمت الشريعة من شأن التوحيد، فهو حق الله الأعظم، والمقام الأكرم من مقامات العبودية، وقد جاءت الشرائع كلها بحث الخلق على تحقيقه ومحاربة كل ما يناقضه أو يضعفه في القلب، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ آعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطُّغُوتَ^{٣٦}﴾ [النحل:36]

ومن هنا نجد أن الأئمة قد اعتنوا به وبمباحثه، وقد استهل ابن جزي مباحثه ببيان معنى الواحد، وأنَّ له ثلاثة معان كلها صحيحة في حق الله تعالى: وهي: أنه لا ثاني له فهو نفي للعدد، وقيل: لا شريك له، وقيل: لا يتبعض ولا ينقسم.

كما بيَّن أن توحيد الله على ثلاث درجات: توحيد عامة المسلمين، وهو نفي الشركاء والأنداد، والصاحبة والأولاد، والأشباه والأضداد، وتوحيد الخاصة، وهو: أن يرى أن الأفعال كلها صادرة من الله وحده، ويشاهد ذلك بطريق المكاشفة لا بطريق الاستدلال الحاصل لكل مؤمن، وثمرة هذا العلم الانقطاع إلى الله والتوكل عليه وحده واطراح جميع الخلق، فلا يرجو إلا الله، ولا يخاف أحدا سواه^(١).

وتوحيد خاصة الخاصة: وهو كما فسَّره: ألا يرى في الوجود إلا الله وحده، فيغيب عن النظر إلى المخلوقات، حتى كأنها عنده معدومة، وهذا الذي تسميه الصوفية مقام الفناء بمعنى الغيبة عن الخلق حتى إنه قد يفنى عن نفسه، وعن توحيده: أي يغيب عن ذلك باستغراقه في مشاهدة الله^(٢).

هذه أهم المباحث التي ذكرها ابن جزي - رحمه الله- تحت كل مقام من مقامات التَّزْكِيَّة، وهي كما تقدم متفاوتة من جهة ما ذكر بين الاختصار والإسهاب، والذي ظهر للباحث أنَّ ذلك كان منه بحسب ما حضره؛ لأنَّه لم يلتزم منهجا محددا في عرضها.

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (104/1-105).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (105/1).

المبحث الثاني: مقامات التزكية عند الحرالي في تفسيره:

تمهيد:

يعد الحرالي أحد كبار المتصوفة الذين كان لهم عناية بالغة بالزهد، وأقوال معروفة في شرح مقامات التزكية وتربية النفوس، ولذا نجد الغبريني يصفه بأنه في علم التصوف إمام، له التأليف الحسنة فيه، وإن كان من حيث الجملة له عناية واشتغال بالعلم، فحيث تكلم في علم، يعتقد الناظر أنه لا يعرف غيره، وأكثر كلامه كان في إصلاح العلم وحال العلماء⁽¹⁾.

وقد كان لهذا المسار الذي سلكه أثر على آرائه في كثير من العلوم، ومنها علم التفسير، ومن هنا نجد أنه قد حاول أن يقدم نظرة عن التفسير الإشاري اختلفت عن من سبقه ممن تكلم فيه، وذلك بحرصه على وضع قوانين تعين على فهم القرآن وفق الطريقة الصوفية، أي: أنها مبنية على تنمية ملكة التعبير عن التفسير الإشاري⁽²⁾.

وهو بصنيعه هذا قد أعطى لمنهجه الصوفي طابعا مستقلا في فهم القرآن يمتاز عن باقي أنواع الفهم الصوفي الأخرى، ولذا نجد أن بعض طلابه كالبقاعي قد اعتمدوا على تفسيره، وأكثروا من النقل عنه والاحتفاء به؛ لعنايته بذلك، يقول البقاعي: "وكتابي هذا قد نوهت فيه بالنقل عن جماعة، ما عرفهم المصوبون إلا مني، منهم الأستاذ أبو الحسن الحرّالي"⁽³⁾.

ولإبراز طريقته في الكلام عن مقامات التزكية فإنّ الباحث سيكون تركيزه على ما قرره الحرالي في تفسيره من بيان لهذه المقامات، بدءا بتعريفه لها، ثم ذكره لمباحث تحت كل مقام، ثم المقارنة بينه وبين ابن جزي، في ما قرره كل منهما في تفسيره من تعريف لهذه المقامات، أو بيان لبعض المباحث المدرجة تحتها، وقبل ذلك لابد من الوقوف على ترجمة موجزة تعرّف به، يحسن الباحث أن يوردها في الآتي:

(1) عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السّابعة ببجاية (ص146).

(2) أبو الحسن الحرالي المراكشي (أثاره ومنهجه في التفسير) (ص347).

(3) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (1/137).

المطلب الأول: ترجمة الحرالي ومعالَم مسيرته العلمية⁽¹⁾.

أولاً: اسمه ونسبه:

هو: أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم الحرَّالي التُّجيجي، والحرَّالي بفتح الحاء المهملة، والرَّاء المشددة، وبعد الألف لام، نسبةً إلى حَرَّالة⁽²⁾، قرية من أعمال مرسية⁽³⁾.
ثانياً: نشأته العلمية ورحلاته.

ولد الحرَّالي بمَرَّاكش وكان بدء أمره بها، وأخذ العربية عن أبي الحسن بن خروف، وأبي الحجاج بن نمر، وابن القطان، وابن الكتاني، وغيرهم من علماء الأندلس، ثم رحل إلى المشرق، وكان ذلك بعد أن حصَّل من العلم ما سبق به أبناء وقته، وحجَّ، ولقي العلماء، وتجوَّل في البلاد، وشارك في فنون، ومال إلى التَّنظيريات وعلم الكلام، ولقي جُلَّةً من المشايخ شرقاً وغرباً، وأخذ بالمشرق عن أبي عبد الله القرطبي إمام الحرم الشريف.

وكان من البلدان التي سكنها في رحلته المشرقية مصر، فقد ذكرت بعض المصادر أنَّه لمَّا رجع من المغرب إلى بلاد مصر، كانت إقامته فيها ببلاد بلييس، واجتمع عليه بها كبراء أهلها وأخذوا عنه واتَّبِعُوهُ، وكان قصده التوجه إلى مدينة الرسول ﷺ، ولم يتهيأ له المسير إليها، فتوجه إلى الشام ولم يستصحب معه ولده ولا أحداً من أصحابه إلا زوجه.

وكان له في كل هذه الأقطار التي مر بها تلاميذ أخذوا عنه، وممن ذكر في تلاميذه: أحمد البُوني، وعبد الحق بن ربيع، وغيرهم.

⁽¹⁾ انظر ترجمته في: عنوان الدَّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السَّابعة ببجاية (ص143)، والمستملح من كتاب التكملة (ص ٣٤٠)، ومسالك الأبصار في ممالك الأمصار (336/8)، وتاج العروس من جواهر القاموس (293/28)، ونفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب (187/2)، وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (158/1)، و(215/1)، و(2/1٥٦٤)، و(١٠٨٢/2)، وتراجم المؤلفين التونسيين (235/5).

⁽²⁾ ذيل لب اللباب في تحرير الأنساب (ص109).

⁽³⁾ الوافي بالوفيات (120/20).

ثالثاً: آثاره ووفاته.

أما آثاره: فإنَّ من أهم المؤلفات التي نصَّ عليها أهل العلم في ترجمة ما يلي:

- مفتاح الباب المقفل على فهم القرآن المنزل، وقد جعله قوانين كقوانين أصول الفقه.
- الوافي في الفرائض.
- المعقولات الأول، وهو كتاب في المنطق.
- اللمعة وهو في علم الحروف، وقيل اللمعة.
- شمس مطالع القلوب، وبدر طوابع الغيوب.
- له مؤلف في شرح في الأسماء الحسنى.
- لمعة الأنوار، وبركة الأعمار.
- صلاح العمل لانتظار الأجل.
- الإلماع بطرف من الانتفاع، وهو: مختصر في: علم الحرف.
- الإيمان التام، بالنبي عليه الصلاة والسلام.
- كتاب الوصية لسالك طريق الصوفية، وله شعر رائق وأحزاب وأوراد.

وأما وفاته: فقد توفي الحرالي بحماة من بلاد الشام، سنة سبع وثلاثين وستمائة، وقيل ثمان وثلاثين، وقيل توفي عند أذان العصر في اليوم الثاني عشر لشهر شعبان عام (638هـ).

المطلب الثاني: عدد المقامات التي ذكرها الحرالي، وبيان مفهومها:

لم يكن الحرَّالي يقبل بالنقد الموجه للتصوف، ولا لما يقرره أهله من مباحث ومسائل فهو يرى أنَّ أهل العلم على ثلاثة أقسام: طائفة التزمت بمعالم الإسلام يسمون: المتفقهة، وطائفة أخرى التزمت بشعائر الإيمان يسمون: الأصوليين والمتكلمين، وترامت طائفة إلى الإحسان يسمون: المتصوفة⁽¹⁾.

(¹) التوشية والتوفية للحرالي (ص 137).

ولذا نجده يقرر أنَّه متى كان المتفقه منكرا لصدق أحوال الصوفية، لما لعلَّه يراه من خلل في أحوال المتصوفة، فقد تسنن بسنن اليهودية، ومتى كان المتصوف غير مجل للفقهاء، لما لعلَّه يراه من خلل في أحوال المتفقهة، فقد تسنن بسنن النصارى، وكذلك حال المتكلم بين الفرقتين لأيهما مال كان مثلها⁽¹⁾.

وقد كان له عناية كبيرة بمباحث التصوف، وبيان مراتب أهله، وكان من جملة ذلك حديثه عن مقامات الزهد والتزكية الذي هو محل البحث هنا، وقد تعرَّض لبيان هذه المقامات وشرحها وتعريف النَّاس بها، ولكنه لم يذكرها في موضع واحد كما فعل غيره، ولا فرَّقها مع ورودها في الآيات التي قام بتفسيرها.

وكان غاية ما وقف عليه الباحث من ذلك كلام متناثر من خلال كتبه، بعضها ذكرها تحت تفسير الآيات التي قام بتفسيرها، والبعض الآخر لم يكن مرتبطا بالآيات، وهو فيه على عادته من المنح بين معاني التفسير الظاهرة والمعاني الباطنة أو الإشارية، وقد أعطت هذه الميزة لكلامه عمقا روحيا عند بعضهم، من خلال الربط بين المعاني الظاهرة وأهدافها الروحية البعيدة⁽²⁾.

وسيقف الباحث مع هذه المقامات ببيان معانيها بحسب ما أورده في تفسيره للآيات، وذلك في الآتي:

أما الشكر وهو المقام الأول: فقد بيَّنه الحرالي عند تفسيره لقوله تعالى ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٨٥﴾ [البقرة: 185]، وقد عرَّفه بقوله: "هو ظهور بركة الباطن على الظاهر، يقال: دابة شكور، إذا أنجح مأكلاها بظهور سمنها"⁽³⁾.

وأما التقوى وهي المقام الثاني فقد ذكرها الحرالي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ٣١﴾ [آل عمران: 31]، وقال في بيان معناها: "هي: ملاك الأمر وأصل الخير، وهي: اطراح استغناء العبد بشيء من شأنه، لا من ملك ولا من ملك، ولا من فعل ولا من وصف، ولا من ذات، حتى يكون عنده، كما هو عند ربه في أزلّه،

(١) التوشية والتوفية للحرالي (ص 137).

(٢) أبو الحسن الحرالي المراكشي (آثاره ومنهجه في التفسير) (ص 334).

(٣) نصوص من تفسيره المفقود لسورتي البقرة وآل عمران (ص 216).

قبل أن يكون مجردا لنفسه، ليكون أمره كله بربه في وجوده، كما كان أمره بربه قبل وجوده لنفسه⁽¹⁾.

وأما الذكر، وهو المقام الثالث، فقد ذكره الحرالي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يُنَبِّئُ إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ۚ﴾ [البقرة: 40]، وقال في تعريفه: "هو: استحضار ما سبقه النسيان"⁽²⁾، وقال في بيانه أيضا في موضع آخر بالنظر إلى أحوال الأعضاء مع الذكر "فأن الذكر قد ينظر إليه بحسب الذاكر، فذكر اللسان القول، وذكر البدن العمل، وذكر النفس الحال والانفعال، وذكر القلب المعرفة والعلم واليقين، ونحو ذلك، ولكل شيء ذكر بحسبه"⁽³⁾.

وأما الصبر، وهو المقام الرابع، فقد ذكره الحرالي عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 153]، وقال في تعريفه: "هو حمل النفس على ما تعهد فيه كرهها"⁽⁴⁾.

وأما مقام التوحيد، وهو خاتمة هذه المقامات، فقد ذكره الحرالي عند بيانه لما به تحصل قراءة حرف الأمر، فقال معرّفاله: "أما من جهة القلب: فالتوحيد والإخلاص، وأعم ذلك البراءة من الشرك العظيم، بأن لا يتخذ مع الله إلها آخر"⁽⁵⁾.

هذه أهم المقامات التي ورد تعريفها عند الحرالي -رحمه الله - وعباراته في بيانها من أوضح العبارات، وأكثرها دلالة على المراد؛ مما يبين عناية الحرالي بالمصطلحات وحرصه على تحريرها والتدقيق فيها.

(1) نصوص من تفسيره المفقود لسورتي البقرة وآل عمران (ص565).

(2) المصدر السابق (ص203).

(3) المصدر السابق (ص372).

(4) المصدر السابق (ص281).

(5) العروة للمفتاح الفاتح للباب المقفل (ص55).

المطلب الثالث: أهم المسائل التي ذكرها الحرَّالي تحت كل مقام من مقامات التَّزْكِيَّة.

ذكر الحرَّالي مجموعة من المباحث المتعلقة بكل مقام من هذه المقامات، وقد تنوع إirاده لها بين التوسع في بعض المباحث والإيجاز في البعض الآخر، وبيان هذه المباحث في الآتي:

المقام الأول: مقام الشكر.

إنَّ مقام الشكر من أرفع المقامات وأعلاها، وهو من المقامات التي يقل قيام الخلق بحقوقها أو التحقق به، قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٍ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: 13]، قال السمرقندي: "والشكور هو المبالغة في الشكر، وهو من كان عادته الشكر في الأحوال كلها، ومثل هذا في الناس قليل"⁽¹⁾.

ومن هنا كانت عناية أهل العلم بهذا المقام عظيمة، ونجد أنَّ الحرَّالي كان منهم، وقد ذكر تحت هذا المقام جملة من المباحث: من ذلك بيان أنَّ أعظم الشكر لرزق الله سبحانه وتعالى، يكون بمعرفة العبد بأنَّه من الله تعالى، لأنَّه إنما يشكر رزق الله من أخذه من الله سبحانه وتعالى⁽²⁾.

كما أنَّه بين العلاقة بين التقوى والشكر، عند تفسيره لقوله تعالى ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: 185]، في ختام آيات الصيام، فقد بيَّن فيها أن ختام هذه الآيات بالشكر، هو تصنيف للشكر نهاية، كما كان فيها تصنيف للتقوى بداية، كما قال: {لعلكم تتقون}، فمن صحت له التقوى ابتداء، صح منه الشكر انتهاء⁽³⁾.

ومن المباحث التي أوضحها الحرَّالي تحت هذا المقام أيضا، بيانه عند مقارنة حرف الحلال بحرف النهي: أنَّ حرف الحلال موسَّع؛ ليحصل به الشكر لله عز وجل، وأما حرف النهي فكان مضيقاً؛ ليحصل به الصبر، فبذلك يكون العبد شاكراً صابراً⁽⁴⁾، ولا شك أن اجتماع الصبر مع الشكر من أعظم مقامات العبودية؛ والجمع بينهما فيه تكميل لمراتبها.

(1) بحر العلوم للسمرقندي (83/3).

(2) نصوص من تفسيره المفقود لسورتي البقرة وآل عمران (ص585).

(3) نصوص من تفسيره المفقود لسورتي البقرة وآل عمران (346).

(4) العروة للمفتاح الفاتح للباب المقفل (ص102).

المقام الثاني: مقام التقوى.

يعد مقام التقوى من المقامات العظيمة في تحقيق العبودية، ذلك أنها تقوم على فعل المأمورات وترك المنهيات، وذلك هو قطب العبودية ومدارها، ولذا نجد أن النبي ﷺ قد أوصى بها أبا ذر الغفاري ﷺ كما جاء في الحديث: "قال لي رسول الله ﷺ: «اتق الله حيثما كنت»، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالف الناس بخلق حسن" ⁽¹⁾.

ولما كانت التقوى بهذه المثابة فقد عظمت بها عناية علماء الإسلام، وبينوا طرائق تحقيقها، ومن هنا نجد أن الإمام الحرالي قد ذكر تحتها مجموعة من المباحث تحت هذا المقام، حيث بيّن المرتبة العالية من التقوى، وهي أن يتقي المسلم ربه حق التقاة، والتي هي غاية التقوى، بأن يكون عبدا يشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى، ويطيع فلا يعصي ⁽²⁾.

كما بيّن أيضا علاقة الإيمان بالغيب بالتقوى، فذكر أن وجه ترتب الإيمان بالغيب على التقوى أن المتقي لما كان متوقفا غير متمسك بأمر، كان إذا أرشد إلى غيب لا يعلمه، لم يدفعه بمقتضى ما تقدم له علمه ⁽³⁾، وقال أيضا في هذا المعنى: "فلا إيمان لمن لا صلاة له، [والتقوى وحده أصل] والإيمان فالصلاة ثمرته، والإنفاق خلافة" ⁽⁴⁾.

ومن جملة المباحث التي ذكرها تحت هذا المقام، علاقة التقوى بالشكر، كما بيّن أن من أسباب التقوى العظيمة تفويض الأمور لعلام الغيوب، فقال في تفسير قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ آعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ٢١﴾ [البقرة: 21]، بأنه سبحانه بدأ من آيات الربوبية بذكر الخلق؛ لأنه في ذواتهم، ووصل ذلك بخلق من قبلهم [حتى لا يستندوا بخلقهم إلى من قبلهم]، وترجى لهم التقوى لعبادتهم ربهم، من حيث نظرهم إلى خلقهم وتقدير أمشاجهم؛ لأنهم إذا أسندوا خلقهم لربهم كان أحق أن يسندوا إليه ثمره ذلك من صفاتهم وأفعالهم، فيتوقفون عن الاستغناء بأنفسهم، فينشأ لهم بذلك تقوى ⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ أخرجه أحمد في المسند (21354)، (234/35)، والترمذي في سننه (1987)، (526/3)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

⁽²⁾ نصوص من تفسيره المفقود لسورتي البقرة وآل عمران (ص 565).

⁽³⁾ نصوص من تفسيره المفقود لسورتي البقرة وآل عمران (ص 157).

⁽⁴⁾ المصدر السابق (ص 156).

⁽⁵⁾ المصدر السابق (ص 166).

المقام الثالث: مقام الذكر

إنَّ مقام الذكر من أعظم الزهد والتَّزْكِيَّة، ذلك أنَّه دليل على عدم غفلة العبد واجتهاده ومثابرته في العمل الصالح؛ ولذا نجد أنَّ الإمام الآجري عند ذكره لصفات العالم صَدَّرَها بهذا المقام فقال: "فمن صفته أن يكون لله شاكرًا، وله ذاكرًا، دائم الذكر، بحلاوة حب المذكور، فنعم قلبه بمناجاة الرحمن، يعد نفسه مع شدة اجتهاده خاطئًا مذنبًا، ومع الدُّؤوب على حسن العمل مقصرًا"⁽¹⁾.

ومن هنا نجد أنَّ أهل العلم قد عظمت عنايتهم بهذا المقام، وبما تحته من مباحث متنوعة، ونجد أنَّ الحرالي قد ذكر تحته مجموعة من المباحث المتعلقة به، فبيَّن حال الذكر العالية التي تنتج عنها رفعة الدرجات وتكفير السيئات بأن يكون: "أدب الناطق بكلمة الشهادة أن يجمع حواسه إلى قلبه، ويحضر في قلبه كل جارحة فيه، وينطق بلسانه عن جميع ذاته: أحوال نفس، وجوارح بدن، حتى يأخذ كل عضو منه وكل جارحة فيه، وكل حال لنفسه، قسطه منها"⁽²⁾.

ثم بيَّن ثمرة ذلك وأنَّه "به تتحات عنه الذنوب، كما يتحات الورق عن الشجر، فلم يقرأ تهليل القرآن من لم يكن ذلك حاله فيه، وكذلك في تشهد الأذان، وبذلك يهدم التهليل سيئاته في الإسلام، كما هدم من المخلص به جرائم الكفران"⁽³⁾.

وأما الحال العليا للذاكر في أثناء الصلاة، وهي حال من أحوال الذِّكْر، فالحرَّالي يرى أن: أدب الصلاة يكون: بخشوع الجوارح، والهدوء في الأركان، وإتمام كل ركن بأذكاره المخصوصة به، وجمع الحواس إلى القلب، كحاله في الشهادة، حتى لا يحقق مدرك حاسة غفلة"⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ أخلاق العلماء (ص66).

⁽²⁾ العروة للمفتاح الفاتح للباب المقفل (ص108).

⁽³⁾ المصدر السابق (ص108).

⁽⁴⁾ المصدر السابق (ص108).

ومن جملة المباحث التي ذكرها أيضا، علاقة الذكر بالمحبة، فهو يرى أنَّ من أعظم ما تترامى إليه مقامات السالكين إلى الله، سبحانه وتعالى، القاصدين إليه من مبدأ حال الذكر، الذي هو منتهى المقامات العشر المترتبة في قوله، سبحانه وتعالى: {إن المسلمين} محبة الله سبحانه وتعالى⁽¹⁾.

المقام الرابع: مقام الصبر

عظم الله شأن الصبر في كتابه، وجعله من المقامات العالية الرافعة، وجعل الأجر المترتب عليه عظيما، قال تعالى ﴿إِنَّمَا يُؤَقِّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠﴾ [الرُّم:10]، قال الإمام الأوزاعي: "قال الأوزاعي: ليس يوزن لهم ولا يكال، إنما يغرف لهم غرfa"⁽²⁾.

ولما كان مقام الصبر بهذه المثابة، فقد نال من العناية عند أهل العلم أعظمها؛ ولذا نجد أنَّ الحرالي قد ذكر تحته مجموعة من المباحث المتعلقة بهذا المقام، فقد بيَّن أنَّ الصبر من جهة حال النفس، يحبسها عما تشتهيها طبعاً، مما هو محلل شرعاً، وأنَّ صبر النفس عن شهواتها، وإن كانت حلالاً، هو حقيقة تزكيتها، وقتلها بإضنائها منها هو حياتها، وإطلاقها ترتع في شهواتها هو تدسيسها: {قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها}⁽³⁾.

كما بيَّن أن هذا المنع للنفس عن بعض ما تشتهيها ليس شاملاً لجميع جهات وجوه الحلال كلها، بل يستثنى من ذلك شيئان: الأول: في النساء بكلمة الله: لأنهن من ذات نفس الرجل، ولسن غيرا له، لقوله تعالى {هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها}، والثاني: في الطيب لأنه غذاء للروح، وتقوية للحواس، ونسمة من باطن الملكوت، إلى ظاهر الملك، وما عداهما فالاستمتاع به واتباع النفس هواها فيه، علامة تكذيب وعد الرحمن، وتصديق وعد الشيطان: كما قال تعالى: {وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل}، هذا من جهة النفس⁽⁴⁾.

(1) نصوص من تفسيره المفقود لسورتي البقرة وآل عمران (ص563).

(2) تفسير القرآن العظيم (89/7).

(3) العروة للمفتاح الفاتح للباب المقفل (ص103).

(4) المصدر السابق (ص103).

ومن المباحث التي ذكرها تحت هذا المقام، وهي مهمة في تربية النَّفس: طريقة تعويد النفس على الصبر أو ما يسميه بعض أهل العلم: التصبر، فبيَّن أنَّ أيسر الصبر، صبر النفس عن كسلها، بأخذها بالنشاط فيما كلفت به، كما قال تعالى {لا يكلف الله نفسا إلا وسعها} فمتى يسر الله سبحانه وتعالى، عليها الجد والعزيمة جعل لها فيما كانت تصبر عليه في الابتداء الاستحلاء فيه، وخفت عنها وظيفة الصبر، ومتى لم تصبر في كسلها، وعلى جدها تدنست فنالها عقوبات يكون الصبر عليها أشد من الصبر الأول⁽¹⁾.

كما بيَّن أنَّ الصبر نوعان: أول وثان، فالصبر الأول أي في قوله تعالى: {إن الله مع الصابرين} عن الكسل وعلى العمل، والصبر الثاني: أي في قوله تعالى: {وبشر الصابرين} على مصائب الدنيا، فلذلك انتظم بهذه الآية: {ولنبلونكم} عطفًا وتجاوزًا لأمر يؤخذ بها من لم يجاهد في سبيل الله ضعفا عن صبر النفس عن كره القتال: {يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القتال وهو كره لكم} فمن لم يحمل الصبر الأول على الجهاد أخذ بأمور هي بلايا في باطنه، تجاوزها الخطاب فانعطف عليها⁽²⁾.

المقام الخامس: مقام التوحيد

يعد التوحيد من محكمات الشريعة، فهو حق الله الأعظم، وتحقيقه هو السبيل الأقوم؛ لأنَّ المحقق له مخلص في عمله، متبغ رضاه ربه ﷻ، يقول الحارث المحاسبي مبينًا عظم مقام التوحيد: "وأما شعب الإخلاص فلا يسمى المخلص مخلصًا حتى يفرد الله عز وجل من الأشباه والأنداد والصاحبة والأولاد، ثم إرادته الله بإقامة التوحيد وجمع الهم له وبه في النفل والفرض"⁽³⁾.

ولما كان مقام التوحيد بهذه المثابة فإنَّ الحرَّالي قد اعتنى به غاية العناية وذكر تحته مجموعة من المباحث المتعلقة به، فبيَّن أنَّ التوحيد هو من قبيل المحكم في الشرع، أي: البين الواضح منه، ذلك أنَّ جامع منزل المحكم ما افتتح به التنزيل في قوله تعالى: {اقرأ باسم ربك} الآيات، وما قدم في الترتيب في قوله تعالى: {يا أيها الناس اعبدوا ربكم} إلى ما ينتظم

(1) نصوص من تفسيره المفقود لسورتي البقرة وآل عمران (ص 280).

(2) المصدر السابق (ص 282).

(3) رسالة المسترشدين (ص 175).

بذلك من ذكر عبادة القلب، التي هي المعرفة، في قوله تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}،⁽¹⁾.

كما أنه أوضح علاقة التوحيد بطاعة الرسول ﷺ التي هي طريق إلى محبة الله للعبد، وقد بين أن من كان فيه كفر، فهو غير مستوفٍ لاتباع الرسول؛ لأنه ﷺ الماحي الذي يمحو الله به الكفر، وإنما يحب الله من اتبع رسوله، وعليه فحب الله للعبد بحسب توحيده، فكلمة كان أكمل توحيداً كان أحب، وما سقط عن رتبة أدنى التوحيد، الذي هو محل الأمر بطاعة الله، سبحانه وتعالى ورسوله، - ﷺ -، كان كفراً بحسب ما يغطي على تلك الرتبة من التوحيد⁽²⁾،

فمدار الأمر عند الحرافي إذا على أن هذه السورة سورة إلهية إيمانية حبية توحيدية، فخطاها مخصوص بما يجري في حكم ذلك من الإيمان والكفر والمحكم والمتشابه، وكشف غطاء الأعين، ورفع حجب القلوب⁽³⁾.

ومن المباحث التي تطرق لها تحت هذا المقام العظيم أيضاً: بيان أن الشرك مناقض للتوحيد مفسد للأعمال؛ لأن المشرك في الإلهية لا تصح منه المعاملة بالعبادة، كما قال تعالى ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَلُ الْبَعِيدُ ١٨﴾ [إبراهيم:18]، وأخص منه الإخلاص بالبراءة من الشرك الجلي، بأن لا يرى لله شريكاً في شيء من أسمائه الظاهرة، لأن المشرك، في سائر أسمائه الظاهرة، لا يصح له القبول⁽⁴⁾.

(1) العروة للمفتاح الفاتح للباب المقفل (ص79).

(2) نصوص من تفسيره المفقود لسورتي البقرة وآل عمران (ص569).

(3) المصدر السابق (ص569).

(4) نصوص من تفسيره المفقود لسورتي البقرة وآل عمران (ص106).

كما يَبَيِّن أن إخلاص العمل لله مما يقتضيه مقام التوحيد، وأنَّ لكل عمل ما يناسبه من معنى في الإخلاص مرتبط بذلك العمل، فلكل عمل من المأمورات خصوص اسم في الإخلاص، كإخلاص المنفق: بأن الإنعام من الله، لا من العبد المنفق، وكإخلاص المجاهد بأن النصر من الله، لا من العبد المجاهد: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ١٠﴾ [الأنفال:10]، وكذلك سائر الأعمال يخصها الإخلاص في اسم من الأسماء، يكون أملك بذلك العمل^(١).

هذه أهم المباحث التي ذكرها الحرالي تحت كل مقام، وهي كما ترى لم تأت على ترتيب معين؛ لأنَّه لم يقصد إلى جمعها في موضع واحد؛ ولذا جاءت متفرقة بين ما جمع من تفسيره وبين بقية كتبه الأخرى.

المبحث الثالث: الموازنة بين ما ذكره ابن جزي والحرالي من هذه المقامات .

المطلب الأول : أوجه الاتفاق والاختلاف في عدد المقامات ، وبيان مفهومها:

إنَّ بيان مفهوم كل مقام من هذه المقامات عند ابن جزي لم يختلف كثيرا عن ما عند الحرالي، فكلهما عرَّف كل مقام من هذه المقامات موضحا معناه، ومبيِّنا للمراد منه، إلا أن ابن جزي ربطها بتفسير الآيات، بخلاف الحرالي الذي نجده قد نثرها في كتبه ولم يلتزم بإيرادها عند آيات بعينها، بل تجدها ماثلة في تفسيره الذي جمع أو من خلال كتبه الأخرى.

ويمكننا أن نذكر بعض أوجه الاختلاف بينهما في بيان مفهوم هذه المقامات في الآتي:

أولا: أنَّ ابن جزي كان بيانه لها مرتبا وواضحا، فهو قد ذكرها في المقدمة في موضع واحد مع الآيات التي سوف يتكلم فيها عن هذه المقامات، ووعد أنَّه سيبيِّن في مواضعها التي ترد فيها من السور ووَقَّى بذلك، فأوردها كما وعد، بخلاف الحرالي الذي لم يلتزم بذلك ولم يقصده، وإن كان بعضها ورد عند تفسيره للآيات من دون التزام لذلك.

(١) المصدر السابق (ص106).

ثانيا: أن ابن جزي قد قصد إلى بيان مفاهيم بعض هذه المقامات ابتداءً فبيّن ثلاث مقامات وعرفها من بين خمس مقامات تناولها البحث، وهي: مقام التقوى، والصبر والتوحيد، ولم يعرف مقام الشكر والذكر، ويمكن أن نستشف تعريفاً لها من خلال كلامه عليها، وبيان أوصافها، وأمّا الحرالي، فقد بيّن أربعة مقامات وعرفها من بين خمس مقامات تناولها البحث، وهي: مقام الشكر، والتقوى، والصبر، والتوحيد، ولكن تعريفه لبعضها أخذ من المعنى اللغوي كبيانه لمقامي الشكر والذكر.

ثالثاً: أن كلا من ابن جزي والحرالي لم يلتزم بالصياغة الدقيقة للحدود والتعاريف بحيث تكون جامعة مانعة، بل بعض هذه التعاريف هي أقرب إلى الأوصاف منها إلى التعاريف.

هذه بعض أوجه الاتفاق والاختلاف بين معاني هذه المقامات عند ابن جزي والحرالي مما يبين بعض الفروق التي بينهما في هذا الجانب.

المطلب الثاني: أوجه الاتفاق والاختلاف في المباحث التي ذكرت تحت كل مقام:

كان لكل من ابن جزي والحرالي طريقته في ذكر بعض المباحث المتعلقة بكل مقام من مقامات التزكية، ومن هنا فإننا نجد عندهما من التنوع في عرض هذه المباحث من جهة ذكر التقسيمات والأنواع، ومن جهة المعاني ودلالة الألفاظ عليها، ويمكننا أن نجمل أوجه الاتفاق والاختلاف في ذكر هذه المباحث في الآتي:

أولاً: أنّ كلا منهما ذكر مجموعة من المباحث تحت كل مقام إلا أنّه حصل التفاوت من جهة ما ذكر تحت كل مقام، ففي مقام الشكر كانت المباحث التي تعرض لها ابن جزي بالذكر هي مباحث متنوعة بعضها متعلق ببعض التقسيمات التي تتعلق بالشكر كأنواع الشكر، وأنواع النعم التي تستحق الشكر، ومقامات الناس في هذه العبادة، ودرجات الشكر، وكان منها واحدة متعلقة ببيان العلاقات كبيان علاقة الشكر بالحمد وأيهما أعم.

بينما نجد الحرالي في هذا المقام، قد أخذ منى آخر في ذكر مباحثه، فهو قد تناولها من جهة بيان العلاقات، حيث بيّن العلاقة بين التقوى والشكر، وكانت عنايته أيضاً بإبراز بعض الحقائق المتعلقة بالشكر: ككيفية شكر الله على الرزق، وبيان حقيقة من حقائق التشريع الإسلامي المتعلقة بالشكر، وذلك من جهة أن التوسيع في الحلال إنما هو للقيام بشكر النعم، ولم يعتن فيه بالتقسيمات أصلاً، وبذلك ندرك أن طريقة ابن جزي في هذا

المقام هي الطريقة التعليمية التي تنحو نحو ذكر التقسيمات والأنواع بخلاف الحرالي الذي ركز فيها على بيان بعض الحقائق المتعلقة بالشكر.

ثانياً: أنَّ بيان المقام يعتنى فيه أحياناً ببيان أوجه وروده في القرآن أو ببيان البواعث التي تبعث الإنسان على التحقق به كما فعل ابن جزى عند كلامه عن مقام التقوى، فقد ركز فيه على ذكر بعض التقسيمات المرتبطة به، كبيان درجات التقوى، وذكر أيضاً فضائل التقوى المستنبطة من القرآن الكريم، وهي مادة مهمة للكتابة في التفسير الموضوعي، كما نبه أيضاً على البواعث التي تجعل الإنسان يتحقق بهذا المقام.

وأما الحرالي فإنَّه قد تناول بعض القضايا الأخرى كبيان بعض العلاقات كعلاقة التقوى بالإيمان، وبيان بعض الأسباب التي تحمل المسلم على التحقق بهذا المقام كتفويض الأمور لعلام الغيوب، وبيان مرتبة عالية هي غاية التقوى وهي: أن يبقى المسلم ربه حق تقاته، و بـم تتحقق هذه المرتبة؟ وبذلك يعلم أن ابن جزى في هذا المقام لم يركز على التقسيمات والأنواع وإنما أوغل في المعاني برفق وذكر بعض المباحث المهمة المرتبطة بالقرآن أو بالبواعث على التقوى وهو جانب نفسي مهم، وأن الحرَّالي أيضاً ركز على العلاقات ولكنه نبه على مرتبة عالية هي غاية التقوى مما يعد نفساً جديداً في الطرح.

ثالثاً: أنَّ الحرَّالي ركز في بعض المقامات على الطريقة العالية التي من خلالها يتم التحقق بهذا المقام إما من حيث الإجمال، أو من خلال عبادة من العبادات، وذلك عند حديثه عن عبادة الذكر فنجدّه يبين أنَّه ينبغي للذاكر أن يجمع حواسه إلى قلبه، ويحضر في قلبه كل جراحة فيه، وينطق بلسانه عن جميع ذاته، حتى يأخذ كل عضو منه وكل جراحة فيه، وكل حال لنفسه، قسطه منها.

وأما حال الذكر في الصلاة كأحد أهم العبادات في الإسلام فقد بين أن الحال التي ينبغي أن يتحلَّى بها المصلي: هي خشوع الجوارح، والهدوء في الأركان، وإتمام كل ركن بأذكاره المخصوصة به، وجمع الحواس إلى القلب، كحاله في الشهادة، كما نبه على بعض العلاقات أيضاً من خلال بيانه للعلاقة بين الذكر بالمحبة، وأنَّ الذكر من أعظم ما يوصل إلى محبة الله ورضوانه.

وأما ابن جزي فقد ركز على التقسيمات والأنواع كبيانه لأنواع الذكر وأنها ثلاثة، وذكره لمقاصد الناس في التعامل مع الذكر، وبيانه أيضا لأنواعه الواردة في النصوص الشرعية كالتهليل، والتكبير، والتسبيح، وأن لكل منها ثمرة، ولكنه أبرز جانباً مهماً يتعلق بهذا المقام وهو أنَّ الذكر أفضل العبادات وأعظمها أجراً وثواباً في الجملة، وأن دلائل فضله وردت في النصوص من ثلاثة أوجه، وهو جانب مهم اعتنى به ابن جزي في هذا المقام.

رابعا: أن بعض هذه المقامات تم التركيز فيه على بيان حقيقته من خلال ربطه بالأوصاف التي وردت في النصوص أنه ينبغي التحقق بها، كمقام الصبر الذي نجد أنَّ الحراي تكلم عنه من خلال تعامل النفس معه وأنها إن صبرت على الشهوات وجاهدت حصل لها ما وعد الله به في كتابه من تزكية النفس ووصولها للمراتب العالية، وأنَّ عدم الصبر طريق لتدسيس هذه النفس والنزول بها في درجات سحيقة.

كما أنَّه بيّن بعض ما استثنته الشريعة من الأمور التي أبيع للنفس أن تأخذ نصيبها منه وهو: النساء والطيب، فالشريعة فيها فسحة وسعة لا تتعارض مع تحقيق هذا المقام، وكان من جملة ما بينه في هذا المقام أيضا بيانه لأساليب تربية النفس على الصبر، أو ما يسمى بالتَّصَبُّر.

وأما ابن جزي فلم يركز في بيانه لهذا المقام على التقاسيم والأنواع، وإنما ذكر أوجه أخرى مهمة، من ذلك بيان لمكانة الصبر في الشرع من خلال تكرار ورودها في النصوص، وعدم جعل حد له من جهة الثواب، وهما جانبان مهمان عظيمان يدلان على عظيم مكانته، كما بين أيضا ثماني كرامات وهبات ربانية ينالها الصابر مدلا على كل منها بآية دالة عليها، وركز أيضا على إبراز مرتبتين عاليتين هما أعلى من الصبر، وهما: مرتبة التسليم ومرتبة الرضا، وبذلك يكون ابن جزي قد خالف طريقته السابقة في تناول هذه المقامات.

خامسا: أنَّ بعض هذه المقامات أشير فيه إلى المصطلحات التي تشترك مع هذا المقام في الاسم، كما فعل ابن جزي عندما بيّن في مقام التوحيد أن الواحد له ثلاث معان كلها صحيحة في حق الله تعالى، كما أنَّه ركز أيضا في هذا المقام على ذكر التقسيمات والتفريعات كبيانه أن توحيد الله على ثلاث درجات، ولكل درجة منها ثمرة، وجعل خاتمة هذه الدرجات هو مقام الفناء عن مشاهدة الخلق باستغراقه في مشاهدة الله جل وعلا.

وأما الحرالي فقد نبه على معنى عظيم يتعلق بمقام التوحيد وهو أنه من محكمات هذه الشريعة التي جاء بها النبي ﷺ ، واعتنى في هذا المقام أيضا ببيان العلاقات وذلك من خلال بيانه لعلاقة التوحيد بطاعة الرسول ﷺ ، كما بيَّن أن الشرك مضاد للتوحيد ومناف له، وأنَّ المشرك في الإلهية لا تصح منه المعاملة بالعبادة، ثم نبه أيضا على أن لكل عمل ما يناسبه من معنى في الإخلاص يلائم تلك العبادة المتكلم عنها.

هذه أهم مجالات المقارنة بين ابن جزى والحرالي في بيانها للمباحث المرتبطة بكل مقام وهي تدل على تنوع في الطرح، وثراء في استعراض هذه المباحث وإن غلب جانب ما على كل منهما.

خاتمة:

الحمد لله الذي يسر لي إتمام هذا البحث، وأعانني على القيام به من خلال بيان مقامات التزكية عند هذين العلمين البارزين من أعلام المفسرين بالغرب الإسلامي، وكان من أهم نتائج البحث، ما يلي:

- أنَّ مقامات التزكية: هي مراتب وأحوال في التزكية تجمع بين أعمال القلوب وأعمال الجوارح، يترقى فيها العبد ؛ لتحقيق العبودية لله، وذلك من خلال التحلي بالكمالات والتطهر من الرذائل والآثام.

- أن مقامات التزكية مهمة من عدة نواح فهي سبب للتخلي عن كثير من آفات النفس والأخلاق المنحرفة، وأنَّها تجعل الإنسان في شغل دائم لما يزيك نفسه ويرتقي بها، كما أنَّ التحقق بها من أعظم ما يوصل إلى تحقيق العبودية لله، وهو في الوقت ذاته يساعد الإنسان على تحقيق مرتبة الإحسان في الدين.

- أن من نتائج هذا البحث: أنَّ ابن جزى كان بيانه لمقامات التزكية من خلال تفسيره مرتبا وواضحا، فهو قد ذكرها في المقدمة في موضع واحد مع الآيات التي سوف يتكلم فيها عن هذه المقامات، ووعد أنه سيبينها في مواضعها التي ترد فيها من السور ووَفَّى بذلك، وفي بحثنا هذا الذي اقتصر على خمس منها: بيَّن ثلاث مقامات وعرفها من بين خمس مقامات تناولها البحث، وهي: مقام التقوى، والصبر والتوحيد، ولم يعرف مقام الشكر والذكر.

- أن من نتائج هذا البحث: أنَّ الحرالي لم يلتزم ببيان مقامات التزكية عند بيانه لآيات

محددة، ولم يقصد ذلك ابتداءً، وإنما جاء ذلك منشوراً في كلامه وتفسيره، وإن كان بعضها قد ورد عند تفسيره للآيات من دون التزام لذلك، وقد بيّن أربعة مقامات وعرفها من بين خمس مقامات تناولها البحث، وهي: بيان مقام الشكر، والتقوى، والصبر، والتوحيد، ولكن تعريفه لبعضها أخذ من معنى اللغوي كبيانه لمقامي الشكر والذكر.

- أن من نتائج هذا البحث: أن كلا من ابن جزي والحرالي لم يلتزم بالصياغة الدقيقة للحدود والتعاريف، والتي تجعل التعريف جامعاً مانعاً، وقد جاءت بعض هذه التعاريف كذلك، وبعضها أقرب إلى الأوصاف منها إلى التعاريف.

- إن من نتائج هذا البحث: أن كلا منهما ذكر مجموعة من المباحث تحت كل مقام إلا أنه حصل التفاوت من جهة ما ذكر تحت كل مقام، فبعض المقامات يعتنى فيه أحياناً ببيان أوجه ورودها في القرآن أو ببيان البواعث التي تبعث الإنسان على التحقق بها، وأحياناً يتم التركيز فيها على الطريقة العالية التي من خلالها يتم التحقق بهذا المقام إما من حيث الإجمال، أو من خلال عبادة من العبادات.

- إن من نتائج هذا البحث: أن ابن جزي قد غلب عليه ذكر التقسيمات والأنواع كبيانه لأنواع المقام، أو ذكره لمقاصد الناس في التعامل معه، وذلك أنسب للطريقة التعليمية الدراسية، بخلاف الحرالي الذي غلب عليه بيان العلاقات بين بعض هذه المقامات أحياناً، وأحياناً يركز على كيفية التحقق بهذا المقام أو ذاك وهو أنسب للجانب العملي التطبيقي.

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن جزي ومنهجه في التفسير، لعلي بن محمد الزبيري، دار القلم، دمشق، ط. 1، 1407 هـ - 1987 م.
- أبو الحسن الحرالي المراكشي (آثاره ومنهجه في التفسير)، لمحمادي الخياطي، الرابطة المحمدية للعلماء ومركز الدراسات القرآنية، ط. 1، 1432 هـ - 2011 م.
- الإحاطة في أخبار غرناطة، للسان الدين ابن الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 1، ١٤٢٤ هـ.
- إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي، دار المعرفة - بيروت، (د.ت).
- أخلاق العلماء لأبي بكر الآجري، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - السعودية.
- آداب النفوس، للحارث بن أسد المحاسبي، دار الجيل - لبنان.
- إغاثة اللفهان في مصائد الشيطان، لابن قيم الجوزية، دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت)، ط. 3، ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م.
- بحر العلوم، لأبي الليث السمرقندي، (د.ن).
- تاج العروس من جواهر القاموس، لمرتضى الزبيدي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ووزارة الإرشاد والأنباء - الكويت، (١٣٨٥ هـ - 1965 م و ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م).
- تأويلات أهل السنة، لأبي منصور الماتريدي، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط. 1، 1426 هـ - 2005 م.
- تراجم المؤلفين التونسيين، لمحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي - لبنان، ط. 2، ١٩٩٤ م.
- التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي الكلبي الغرناطي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، ط. 1 - ١٤١٦ هـ.
- التعريفات، للشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط. 1، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن عمر ابن كثير، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط. 2، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- التوشية والتوفية، لأبي الحسن الحرالي المراكشي (منشور ضمن كتاب تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي في التفسير)، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، ط. 1، 1418 هـ - 1997 م.
- جامع البيان عن تأويل أي القرآن، لابن جرير الطبري، دار هجر، ط. 1، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، دار ابن كثير، دمشق، ط. 1، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- جواهر القرآن، لأبي حامد الغزالي، دار إحياء العلوم، بيروت، ط. 2، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن - الهند، ط. 2، ١٣٩٢ هـ، ١٩٧٢ م.
- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون، دار التراث - القاهرة.
- الدين الخالص، لصديق حسن خان القنوجي، دار الكتب العلمية - لبنان، ط. 1، 1415 هـ - 1995 م.
- ذيل لب اللباب في تحرير الأنساب، للوفائي الأزهرى، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية - اليمن، ط. 1، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.
- رسالة المسترشدين، للحارث بن أسد المحاسبي، مكتب المطبوعات الإسلامية - سوريا، ط. 2، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م.
- الزهد، لأحمد بن حنبل، دار الكتب العلمية - لبنان، ط. 1، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- سنن الترمذي، لأبي عيسى الترمذي، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط. 1، ١٩٩٦ م.

- سهام الإسلام، لعبد اللطيف سلطاني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر، ط.1، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
 - شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي، لمساعد الطيار، دار ابن الجوزي، ط.1، ١٤٣١ هـ.
 - الصحاح، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، دار العلم للملايين، بيروت، ط.4، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
 - صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار الطباعة العامرة، تركيا، ١٣٣٤ هـ.
 - طبقات المفسرين، للدواودي، دار الكتب العلمية - بيروت.
 - العروة للمفتاح الفاتح للباب المقفل المفهم للقرآن المنزل، (منشور ضمن كتاب تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي في التفسير)، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي - الرباط، ط.1، 1418 هـ - 1997 م.
 - عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، لأبي العباس الغبريني، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط.2، ١٩٧٩ م.
 - فتاوى ابن الصلاح، لأبي عمرو بابن الصلاح، مكتبة العلوم والحكم وعالم الكتب - بيروت، ط.1، ١٤٠٧ هـ.
 - كتاب نصوص من تفسير الحرالي المفقود لسورتي البقرة وآل عمران، لأبي الحسن الحرالي المراكشي (منشور ضمن كتاب تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي في التفسير)، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي - الرباط، ط.1، 1418 هـ - 1997 م.
 - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة، تصوير: مؤسسة التاريخ العربي ودار إحياء التراث العربي- بيروت، ١٩٤١ م.
 - لسان العرب، لابن منظور، دار صادر - بيروت، ط.3، 1414 هـ.
 - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط.1، ١٤٢٢ هـ.
 - المخصص، لابن سيده المرسى، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط.1، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
 - مدارج السالكين في منازل السائرين، لابن قيم الجوزية، دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت)، ط.2، ١٤٤١ هـ - ٢٠١٩ م.
 - مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، لأحمد بن يحيى العدوي العمري، المجمع الثقافي - أبوظبي، ط.1، ١٤٢٣ هـ.
 - المستملح من كتاب التكملة، لشمس الدين الذهبي، دار الغرب الإسلامي - لبنان، ط.1، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
 - المسند، للإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة، ط.1، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- مصادر ومراجع البحث:**
- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، لبرهان الدين البقاعي، مكتبة المعارف، الرياض، ط.1، 1408 هـ - 1987 م.
 - معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط.1، 1429 هـ - 2008 م.
 - معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
 - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، لمجموعة من الباحثين، بإشراف وتخطيط ومراجعة: مانع بن حماد الجني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط: الرابعة، ١٤٢٠ هـ.
 - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للمقري التلمساني، دار صادر- لبنان، ط: ١٩٩٧ م.
 - الوافي بالوفيات، لصلاح الدين الصفدي، دار إحياء التراث - بيروت، ط: ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.